معيار العاطفة الثقافي عند ماكس شيلر – بحث في الانثروبولوجيا الفلسفية

The criteria of cultural emotion according to Max Scheler – research in philosophical anthropology

أ.م.د حيدر علي حسن

Dr. Haider Ali Hassan

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

University Al-Mustansiriya
College of Art
Department Anthropology and Social

hayderali@gmail.com772

الملخص

تعد الأنثروبولوجيا الفلسفية التي تركز على الطبيعة البشرية أحد المجالات الخاصة التي تهم ماكس شيلر، ويهدف منهجه الظاهري، المتأثر بالمثالية وفلسفة الحياة والمسيحية، إلى تقديم صورة شاملة للبشر، ولهذا الغرض يهتم شيلر بالجوانب الحقيقية والتجريبية للإنسان وقيمه الروحية والاعتراف باستقلالها عن بعضها البعض وفي الوقت نفسه تفاعلها واتصالها، متأثراً بأزمات عصره، وجه ماكس شيلر اهتمامه من ناحية إلى الجوانب المهملة في الإنسان، بما في ذلك العواطف والمشاعر، وخاصة الحب والكراهية، ومن ناحية أخرى، محاولاً تقديم معرفة معينة عن الإنسان من خلال تجنب الجوهرية، فهو يدرس الشؤون الإنسانية من وجهة نظر ظاهرية وعلى أساس كيفية ظهورها. وفي حين أن له انتماءات فلسفية مبنية على اهتمامات اجتماعية، فإنه يولي اهتمامًا خاصًا للقضايا

الإنسانية الملموسة والحقيقية القصدية عن الإنسان، بالإضافة إلى خصائصه العامة والمشتركة مع الآخرين، تعطي قيمة كبيرة لفردية الإنسان، وذلك بالطبع لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف بطريقة موضوعية، ويجب أن يفهم فقط على أساس نهج شخصي. كلمات مفاتيح/ القيم ، التعاطف، الحب، الانثروبولوجيا الفلسفية، الحياة

Abstract

The Schnass philosophy of man, along with contemplation of the essence of man, is one of the most important topics related to Max Schleser. Roykard Biddarshnasan was influenced by Zenitism and Christianity, which present a holistic image of man. This is the face that is characterized by realism and the human experience within a framework of joy and spirituality while enjoying independence from anything else, and at the same time focusing on common and innovative issues. Max Scholl, under the influence of Bahran, brought a touch of change to the side of Adam's Coats from among the emotions and sentiments that fell in love and ran out again, transformed into another aspect within the Lasch framework to provide correct knowledge regarding man while avoiding from the outside, matters related to man must be taken into account in the landscape. And check the basic matters related to it. It is within Dustin that the basic philosophy of Shinsan University relates to the issues of individuals and humanity's own realism. There are many features in the world of human dealings in Afzon, with people in many ways, and starting this is what allows a person to change this basic knowledge and needs basic treatment.

Keywords/values, empathy, love, philosophical anthropology, live.

المقدمة

يُشكل مفهوم الإنسان إحدى أهم الموضوعات الأساسية التي تجسد فيها خطاباً فلسفياً، خطاباً يسمح بالفهم الشامل له ولمختلف فعالياته في هذا الكون، فالإنسان كمفهوم أنثروبولوجي يفرض نفسه كلغز يستدعي الحل في وسط الإشكاليات الفلسفية المتفرعة منذ القدم فكما أن الفلاسفة يحاولون أن يضعوا تصوراتهم وتنبؤاتهم عن مصير الإنسان، إن الماضي والراهن وكذا المستقبل يدفعنا إلى إعادة طرح سؤال عن ماهية الإنسان ومكانته في هذا

الكون خصوصاً وأننا نعيش في ظل ازدواجية المفهومات حوله، هذا الكائن الذي نسج عنه صراع تأويلات وتحديدات تزيد من حدة التشابك بدلاً من الاحتواء، مما جعله دائماً محل استفهام، مفهوم الإنسان يقودنا إلى العديد من التساؤلات، هذه التساؤلات لفتت انتباه جملة من العلوم المرتبطة بدراسة الإنسان في أواخر القرن التاسع عشر مما أدى إلى الانعطاف نحو مبحث الإنسان مجدداً في الدراسات الفلسفية، وفي إطار الاتجاه الأنثروبولوجي العام تشكل تيار خاص هو الأنثروبولوجيا الفلسفية هدفه دراسة الثلاثي (الإنسان، العالم، الواقع) للخروج من أزمة الفرد والمجتمع التي عرفتها الإنسانية مع تنامي الحروب العالمية والتي جعلت منه كائناً فاقداً للذات والإرادة.

ظهرت الأنثروبولوجيا الفلسفية وتأصلت خلال العشرينيات من هذا القرن ببداية ألمانية وأصبحت فرعاً قائماً، وأحد أهم المباحث الفلسفية، فاهتماماتها كانت موجهة حول تحديد مكانة الإنسان وتعزيز قيمته في هذا العالم، حول هويته الكلية وإلى ما يريد وما يستطيع فعله في واقعه ومستقبله، قاصدة وجوده العام بتجاربه ومخاوفه وانجازاته بالمصير الإنساني كله.

اولاً: ماكس شيلر Max Scheler *

كان شيلر، من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٢٠، من أتباع ظواهر (آدموند هوسرل**)، وهو الشكل المهيمن للفلسفة الألمانية في ذلك الوقت، سعى إلى تطبيق منهج هوسرل الظاهري على موضوعات مختلفة، منذ عام ١٩٢٠، وضع شيلر الأساس للأنثروبولوجيا الفلسفية كنظام فلسفي، اذ يتنافس مع الظواهر وغيرها من التخصصات الفلسفية، كان (هوسرل ومارتن هايدجر) (١٨٨٩-١٩٧٦)، من أكثر الفلاسفة موثوقية في المانيا

*. ولد ماكس شيلر Max Scheler (١٨٧٤-١٩٢٨) في ميونيخ، ألمانيا، وكان والده لوثريا ووالدته اورثوذوكسية يهودية، وكمراهق انعطف إلى الكاثوليكية ربما بسبب مفهومها عن الحب. درس شيلر الطب في ميونيخ وبرلين، والفلسفة والانثروبولوجيا في العام وحصل على الدكتوراه في عام ١٨٩٧، وعمل كأستاذ مساعد في جامعة بينا. أبدى طوال حياته اهتماما قويا بالفلسفة البراغماتية الاميركية. درس في جامعة بينا من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٦، حيث التقى الفينومينولوجي الشهير ادموند هوسرل. قدم رسالة الماجستير تحت عنوان «التحقيقات المنطقية» عام (١٩٠٠-١٩٠١)، و«الأفكار» عام (١٩١٣)، وقال انه أيد تحفظات هيدجر في «الكينونة والزمن» الذي التقاه أيضا في أوقات مختلفة، درس في جامعة ميونيخ في الفترة (١٩٠٧-١٩١٠) وانضم إلى دائرة علم الظواهر. ألقي القبض عليه بسبب أمور شخصية بين الجامعة الكاثوليكية ووسائل الاعلام المحلية الاشتراكية، مما أدى إلى فقدان منصبه في التدريس في ميونيخ عام ١٩١٠.

**. إدموند هوسرل فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات، ولد في موراويا في تشيكوسلوفاكيا في عام ١٨٥٩ ودرس الرياضيات في لايبزغ وبرلين على كارل وايستراس ولئوبولد كرونكر، ثم ذهب إلى فيينا للدراسة تحت إشراف لئو كونيكس بركر في العام ١٨٨١، كما درس الفلسفة على فرانتس برنتانو وكارل شتومف.

في ذلك الوقت، وكان لانتقاداتهم للأنثروبولوجيا الفلسفية وشيلر تأثير كبير على هذا التخصص، لم يعرّف شيلر الإنسان على أنه "حيوان عاقل" (كما كان منذ أرسطو) ولكن في الأساس "كائنًا محبًا (krystyna, 2004,p,15.)".

يُعدّ ماكس شيلر أبرز مؤسسي الأنثروبولوجيا الفلسفية المعاصرة، إن الأنثروبولوجيا العلم القادر على أن يكشف للإنسان آفاقه المستقبلية المقبلة، فالأنثروبولوجيا في نظره هي مذهب منهجي في دراسة الإنسان من حيث وجوده في ذاته، ومن حيث التعبير عن عالمه، يرى شيلر أن أزمة الإنسان المعاصر جاءت نتيجة لأزمة المجتمع البرجوازي الرأسمالي، وتقصير الفرد في تقدير أهمية علوم الثقافة (أي الأنثروبولوجيا) من هنا وجب إعادة البحث من جديد في ما هو الإنسان ؟ وليس من هو الإنسان ؟ فيلخص شيلر رؤيته بأن " الإنسان شيء " وهو من القدر والسعة والشمول والتنوع والتفرد بما يعطيه ويمنحه المكانة العالية، وفي الوقت نفسه، فإن مهاراته ونشاطاته المعروفة هي قليلة الجدوى... فالفرد لا يصبح "إنساناً وشخصية" إلا بمشاركته الفعالة في منظومة من القيم والمعايير والأبنية الثقافية التي أنتجتها البشرية، من هنا فإن الأنثروبولوجيا الفلسفية تهتم بدراسة الإنسان المبتكر أو المخترع للثقافة، والإنسان المستخدم للثقافة والقيم الثقافية "Values Cultura" من هنا اصبحت الحاجة الماسة الى علم انثروبولوجي جامع اطلق عليه شيلر الانثروبولوجيا الفلسفية (عباس، ٢٠٢١، ص٤٤).

معنى الحياة

كان دافع شيلر هو توجيه الفلسفة بعيدًا عن الأختزالية الوضعية نحو مسألة معنى الحياة الإنسانية، رأى الناس أكثر من مجرد كائنات عقلانية (كما صورت الوضعية) أو صانعي أدوات عملية (كما صورت البراغماتية) يقول شيلر، نحن تلك الأشياء، ولكننا أيضًا كائنات يمكنها البحث عن العالم وفهمه في جوهره وكيانه، بمعنى آخر، نحن قادرون على أكثر من مجرد التعامل مع الاهتمامات العملية؛ نحن أيضًا قادرون على التساؤل عن المعنى الأعمق للحياة، وصف شيلر الفلسفة بأنها فعل محب للمشاركة في جوهر كل شيء، قد يبدو هذا الظهور لمفهوم الحب في الفلسفة مفاجئا، وهو أمر لم نشهده منذ (أوغسطينوس) لكن شيلر أعاد إلى الفلسفة شيئًا مهمًا ومؤثرًا، الشعور بالدهشة تجاه العالم والرغبة في التعامل معه والشعور بمشاعر تجاهه بدلاً من إبقاء العالم بعيدًا، متأثرًا جزئيًا بعمل (هوسرل) حول الترسيب في الوعي، أدرك شيلر أهمية موقف الفيلسوف ولم يقلل من أهمية العواطف كما فعل معظم الفلاسفة، الحب بالنسبة لشيلر ليس مشاعر أو شوق، بل هو موقف من العجب والانفتاح، قال شيلر إن الحب هو حركة انفتاح على عالم القيم – وهو ما نجده ذا قيمة، في المقابل ايضاً فإن الكراهية تنغلق على عالم القيم، الحب ينطوي على أفعال تمتد إلى العالم، الحب صفة كمالية والمعرفة صفة جمالية فظاهر الكمال هو الجمال وباطن الجمال هو الكمال، لكن يمكن ان يتغير الموقف حيال الحب بالشكل

الذي نصفه بالقبح والحسن وذلك من خلال متعلقه فان كان متعلقه حسناً صار هذا الحب حسنا وكذلك ان كان متعلقه قبيحاً صار الحب قبيحاً، والكراهية تنطوي على أفعال تضيق نطاق وصول المرء إلى العالم، الظواهر هي موقف من الانفتاح ولا ينفي الموقف العملي أو العلمي، لكنه يعلق الحكم عليهما، رأى شيلر أن الظواهر هي موقف ثقة تجاه العالم أفضل كثيرًا من الموقف المتشكك في العصر الحديث (Schillar, eeling, knowledge and evaluation, 2022.p20).

اذن الحب هو فعل يكشف الإنسان من خلاله عن نفسه كشخص، ومن ناحية أخرى، فعل يركز على شخص آخر، الحب يشكل الشخص كمركز للأفعال وهو أساس خاص لجميع الأفعال.

فاذا كنت تبغض في الله وانا ابغض في الله وذاك يبغض في الله وهكذا تعاصرَ الكل بعمل معين ووجهة معينة وسلوك معين فمعنى ذلك اننا سنتفق بطريقة واخرى لإزالة وتغيير لقاء ذلك الطرف، دائرة ذلك البغض هي دائرة غير ضيقة فهي تتسع لشمل السلوكيات، الملذات، العقائد، الانظمة، الصفات، العادات وكل من شأنه ان يكون مذموماً عند العقلاء وعند العقل وعند الدين.

يستمد كبار مؤلفو الأنثروبولوجيا الفلسفية امثال (ماكس شيلر، وهيلموث بليسنر، وأرنولد جيلين) في المقام الأول من مكانة الإنسان في الطبيعة كما تجدها العلوم البيولوجية – جنبًا إلى جنب مع الكائنات الحية الأخرى، يتساءلون مم يتكون تفرد الإنسان ومكانتنا الفريدة في الطبيعة؟ ما الذي يميز الإنسان عن الحيوان؟ وبتعبير أدق، ما جوهر الخصوصية الإنسانية الفريدة التي تحدد الإنسان كشخص إنساني؟ كان التوجه البيولوجي الأساسي لبداية الأنثروبولوجيا الفلسفية هو السؤال عن المقارنة بين الإنسان والحيوان، أو بمعنى أوسع، عن مكانة الإنسان في العالم العضوي بأكمله (ظريف، ١٩٩٧، ص١١) .

اجتمع بعض العلماء المهتمين بالأنثروبولوجيا الفلسفية أيضًا في جهودهم لفهم الإنسان بشكل كلي، أي كوحدة متكاملة لمختلف الجوانب أو مجالات الوجود الفريدة، أي وفقًا للطرق التي يختبر بها الإنسان نفسه ككائن بيولوجي، وحسي، وعقلاني، وعاطفي وكذلك الوجود الثقافي والروحي والاجتماعي، كشف شيلر في عمله المكثف عن الأبعاد الفردية للتجربة الإنسانية وفحصها بقدر كبير من التفصيل؛ إذ أشار إلى وجود ثلاث طرق محددة لتحقيق الذات الإنسانية وهي: (المعرفة الروحية، والإرادة، والعمل) (Trajtelova, 2022,p18).

عُدت الانسانية على انها مركب من المشاعر والأفكار، فالأنسان وفق الرؤية المعرفية هو مركب الشعور والفكر الواقعيين والنتيجة هي السلوك العملي الواقعي، والانسان الكامل هو صاحب الشعور الاوسع والفكر الاوسع والسلوك الاوسع في دائرة الانسانية (البخاتي، ٢٠١٨).

قد عبَّر الفيلسوف الفرنسي(جي مارسيل) عن ذلك بشكل رائع قائلاً: «إن الكائن الذي ربما تتمثل أصالته الأعمق، ليس فقط في البحث في طبيعة الأشياء، بل أيضًا في مساءلة نفسه، حول جوهره هو بهذه الحقيقة ذاتها.

من الضروري شرح العلاقة بين الأنثروبولوجيا الفلسفية والأنثروبولوجيا، كما يفهمها الاستخدام اللغوي المعاصر للمجتمع الأكاديمي في سياق علمي أوسع، تشير كلمة الأنثروبولوجيا في الغالب إلى علوم الشخص البشري (كفرد من نوع الإنسان العاقل)، الذي يبحث في طبيعته البيولوجية، كذلك (الأنثروبولوجيا البيولوجية والأنثروبولوجيا الثقافية على عدّهما علمين أنثروبولوجيين أساسيين) لذلك، يشير علماء الأنثروبولوجيا إلى الإنسان على أنه كائن ثنائي الأبعاد– على عدّه كائنًا بيولوجيًا ثقافيًا يخضع بنفس القدر لقوانين الطبيعة وكذلك للبنية والتأثير، وهذا التمييز معروف في تأملات فلاسفة الأنثروبولوجيا الفلسفية أيضًا ومع ذلك، فإن الأنثروبولوجيا الفلسفية ليست جزءًا مباشرًا من البحث الأنثروبولوجي الراسخ، بل هي نظام فلسفي مستقل يدمج المعرفة المكتسبة من العلوم الأنثروبولوجية الخاصة، ويأخذ في الاعتبار تلك المعرفة نقديًا وفلسفيًا، وعلى أساسها، يقدم نموذجًا فلسفيًا شاملاً لفلسفة ما.

حاول شيلر فهم الإنسان بشكل كلي، من خلال البحث في علاقته بالطبيعة وتحديد موقعه الخاص فيها، هناك ثلاث وجهات نظر إيديولوجية كاشفة عن حقيقة الانسان اذ تنافس مع بعضها البعض هي:

١. النظرة اليهودية المسيحية (الكتاب المقدس) للإنسان (المبنية على الإيمان الديني، الوحي).
٢. النظرة اليونانية القديمة للإنسان (الفلسفة – الإنسان كحيوان عاقل).
٣. النظرة العلمية (العلم – الإنسان كحيوان) نتاج العمليات الطبيعية التطورية، يدعو شيلر إلى البحث عن رؤية موحدة للإنسان، اذ لا يمكن الخلط بينها وبين نظرية عن الإنسان "إن جوهر الإنسان ليس مجردًا أو اعتباطيًا بأي حال من الأحوال؛ إن جوهر الإنسان واضح بشكل ملموس، على الفور وبشكل مباشر، على عدّه كليًا معيشًا منفتحًا على أنماط وأساليب متعددة من التجسيد أو الظهور أو الحضور، إن تعقيد وغنى هذا الجوهر يتعمق بعمق عندما يُنظر إلى هذه الظاهرة كما هي، متجسدة في حياة شخصية فريدة من نوعها، والتي تعتبر الحياة جزءًا لا يتجزأ من الحياة مع الأشخاص الآخرين في هذا الكون (Trajtelova, .2022,p18)

لفهم استنتاجات شيلر فيما يتعلق بجوهر الإنسان ومكانته في العالم، سنشرح أولاً السياق الأوسع لفكره، بصفته فينومينولوجيًا، كان يبني على تجربة الإنسان مع نفسه كما هو موجود في العالم وكذلك مع العالم، التجربة الإنسانية جديرة بالثقة وبديهية، فهو المصدر الأصلي الوحيد والأساس الشرعي لكل المعرفة.

شيلر ووصف الوجود البشري

ماكس شيلر هو من شكَّل هيمنة الفلسفة في ألمانيا في بداية القرن العشرين، ولمدة زادت عن عقدين من الزمن، مع سعيه إلى وضع أسس ومنهج إدموند هوسرل للظواهر المختلفة، وإلى تأسيس الأنثروبولوجيا على اعتبارها نظاماً فلسفياً لكي تتنافس مع الظواهر وغيرها من التخصصات الفلسفية الأخرى، وفي الوقت الذي عرّف فيه شيلر الإنسان على أنه ليس حيواناً عقلياً، إلا أنه في الأساس كائن محب، وهو بذلك كسر المفهوم التقليدي للشخص البشري.

يؤكِّد شيلر أن أخلاقه وفلسفته تتضمنان أو تؤسِّسان شخصانية قيِّمة أو شخصانية أخلاقية، لطالما سأل الفلاسفة عن ماهية الإنسان، واختلفت إجاباتهم منذ العصور القديمة، لكن إجابة شيلر عن السؤال المحوري إجابةٌ جديدة ومُغايرة: الإنسان هو كائن الحب، وهو بذلك وقبل كل شيء شخصٌ واحد ومستقل، وقد كان من الأمور الطبيعية والمعقولة أن يستمدَّ شيلر مذهبه عن أولوية الحب ويطوِّره من خلال الشخصانية.

سبق أن رأينا أن الحب هو الذي يحدِّد العلاقة الأساسية للإنسان مع العالم، وأنه هو الذي يؤدي به إلى مذهبه عن الشخص الإنساني ومنه إلى الفينومينولوجيا والميتافيزيقيا، والواقع أن أنثروبولوجيا شيلر، التي سنعرض لها بشيء من التفصيل، والتي يقدِّم فيها إجابته على السؤال عن ماهية الإنسان ووضعه في الكون — قد نمَت وبلغت أوج نضجها من خلال انشغاله بقضايا فلسفة الأخلاق والظاهريات والميتافيزيقا، ويكفي الآن أن نقول إنه نظر إلى الإنسان نظرتَه إلى كونٍ صغير منظَّم داخل الكون الكبير، وليس كعماءٍ مضطرِب ومختلط من المشاعر والانفعالات والأفكار، ويكفيه أيضًا أنه لم يتوقف عن التنبيه بكل طاقته إلى الوجود الشخصي والعقلي للإنسان في كل ما تطرَّق إليه من قضايا الواقع، سواء كانت علمية أو سياسية أو اجتماعية وثقافية (مكاوي، ٢٠٠٨، ص٣٣).

التعاطف

أن التعاطف لا يقوم على أسس عقلية، بل يعتمد على الحدس الوجداني كوسيلة لإدراكه، اذ يرى (شلر) القيم الأخلاقية تخضع للحدس الوجداني وليس العقل، والحدس الوجدانى هو رؤية مباشرة تحدث بنور إلهى أو بلمعة من الوحى، دون الحاجة الي برهان عقلي، والعاطفة هي عاطفة قلبية عاطفة عارفة وليست عاطفة عمياء، شلر يُفضل منطق القلب والعقل" أو نسق الحب على الاستدلالات والنظريات في دراسة الأخلاق والقيم والدين والحياة الوجدانية، والسبب في ذلك يرجع إلي رفض ماكس شلر التصور العقلاني المجرد للشخص الإنساني، لأنه يؤدي

الى الإغراق في التجريد والانفصال عن الواقع، في حين لا يمكن فصل الشخص عن عالمه وواقعه وتجربته المعاشه المسايرة لأخلاقة المادية التي لا تقبل الصورية المثالية (مصطفى، ٢٠٢٠، ص٥٦).

هو في ذلك يرفض التصور الكانطي للإنسان على انه كائن عقلاني، ويرى ان الرؤية الكانطية قد جعلت الإنسان مجرد شخصٍ عقليٍ أي ذو طابع عقلاني فقط، فالشخص هو مجرد فاعل منطقي للأفعال المعقولة، أي الأفعال الخاضعة لقوانين الإرادة والنية الطيبة ليكون في النهاية مجرد تسلسل لنشاط عقلي عملي.

فطبيعة الإنسان الأخلاقية عند شيلر غير مقتصره على جانبه العقلي المنطقي، فهو ليس جوهراً مفكراً فقط، بل يشمل الفعل والانفعال والعاطفة والشخصية المعبرة عن وحدة أفعاله التي يؤديها مثل الحب والكراهية والزهد والتعاطف والتوبة والاهتمام، وغيرها من الظواهر الاخلاقية التي تتدخل في وجوده ومصيره (عطية، ٢٠٢٠، ص٨٧).

تأسيساً على ذلك، فان ماهية الإنسان الحقيقية –عند شلر–ليست في كونه الكائن العاقل المفكر، ولكنها تكمن في اعتباره ذلك الكائن المنفعل بالآخر المتجاوب معه، المتعاطف معه، المحب له، بالإضافة الى انفعالاته ومواقفه الأخلاقية السلبية مع الآخر مثل الكراهية وعدم الاهتمام الحقد الحسد، الغيرة .

أن فعل التعاطف كما يراه (شيلر) هو أمر فطري في الإنسان، فالفرد دائماً يتأثر بالمواقف والأحداث الي تمر من حوله، حتى وان كانت ليست مواقفه هو، فتجده يحزن لحزن شخص، أو يفرح لفرح آخر، ولا تربطه بهم أية علاقة، ولكن على الرغم من فطرية شعور التعاطف، إلا أن الإنسان يكتسب من البيئة المحيطة به ممارسات التعاطف مع الآخر، ففي الفرح –على سبيل المثال – تختلف أشكال ممارسة التعاطف من مجتمع الى آخر، بل وداخل المجتمع الواحدة، وهذا يعني لديه أي الأنسان شعور تعاطف فطري، لكن كيفية التعبير عن هذا التعاطف مع الآخر هو أمر مكتسب وفق الثقافة التي نشأ الانسان عليها (ابراهيم، ١٩٨٤، ص٥٠).

الأخلاق التي تقدر الأشخاص

طبق شيلر أيضًا موقف الحب على الفلسفة الأخلاقية، لقد تبنى فكرة كانط بأن الأخلاق يجب أن تقوم على الواجب دون النظر إلى العواقب، لكنه رفض إصرار كانط على أن الحتمية المطلقة يجب أن تكون عالمية، وقال بدلاً من ذلك إن واجبنا هو الواجب المحدد الذي يجب على المرء تجاه شخص آخر، يصحح شيلر العقلانية

الباردة للأمر المطلق عند كانط من خلال إدراك أن جميع تصوراتنا هي أيضًا تجارب للقيم، على سبيل المثال الشجرة لها أوراق خضراء وهي طويلة، ولكنها أيضًا جميلة وتعطي ظلًا باردًا، وغالبًا ما تكون قيم الجمال والمتعة، هذا هو ما يهمنا من جميع الأشياء، يقول شيلر أننا عندما ندرك لوحة ما، فإننا "نرى" جمالها كما "نرى" أشكالها وألوانها.

إن وعينا بالقيمة هو علاقتنا الأساسية بالعالم، الأشياء لها قيمة بالنسبة لنا قبل أن ندركها أو نعرفها، ونحن نتفاعل مع الأشياء الموجودة في العالم من حيث قيمتها بالنسبة لنا متبعًا أفكار (فرانز برينتانو*)، تصور شيلر أن علاقاتنا بالأشياء لها قيم إيجابية وسلبية، إن القيم حقيقية من الناحية الموضوعية، على الرغم من أننا نختبرها ونتصرف بناءً عليها بشكل ذاتي، القيم الإيجابية هي تلك التي نجدها مرغوبة نشعر أنه ينبغي أن تكون كذلك وعلى العكس من ذلك، فإن القيم السلبية هي تلك التي نجدها غير مرغوب فيها وتلك التي نشعر أنه لا ينبغي أن تكون كذلك، قال شيلر إن ما يجب أن يكون لا يُشتق من خلال المنطق نشعر بشكل حدسي بما يجب أن يكون وما لا ينبغي أن يكون (Schillar, , Cheung Qing Yun, Advanced Treatise on Partial, 2000,P11).

يقول شيلر إن النوع المحدد من الكائنات الذي يمكنه تجربة القيم هو الشخص، والأشخاص الآخرون هم قيم في حد ذاتها وهذا مشابه لحتمية كانط التي تقضي بمعاملة الآخرين كغايات في حد ذاتها، اما بالنسبة لشيلر فأن الشخص هو فاعل أخلاقي، حاضر في كل فعل؛ ولكن الإنسان لا يمكن اختزاله في فعل معين، بل هو وحدة جميع الأفعال التي يقوم بها، وهذا يعني أن كل شخص فريد من نوعه، لأن كل شخص هو مركز فريد للأفعال، وكل شخص لديه أسلوبه الفريد في التصرف والحب وتحديد المعنى، لذلك لا يمكن تجسيد الشخص أو تصنيفه ضمن الصور النمطية أو الفئات، اذ يتم تحديد معنى الشخص من خلال الطريقة الفريدة التي يجلب بها هذا الشخص المعنى إلى العالم.

يصف شيلر فلسفته الأخلاقية بأنها "شخصية"، ويجعل القيم الشخصية سامية، مما يميز الشخص عن الأنا بشكل حاد ولأن كل شخص هو مركز فريد للأفعال ذات معنى فريد، يقول أنه يجب علينا أن نقدر كل شخص، نحن ندرك العقول الأخرى قبل أن ندرك الطبيعة، وهذا يعني أننا كأطفال صغار نتعرف على وجود أشخاص

*. فرانز كليمنس أونوراتوس هيرمان برنتانو هو فيلسوف وعالم نفس نمساوي ألماني، حاضر في الفلسفة في فرزبورج وفيينا، عارض النقد الكانتي. انصب اهتمام برنتانو الأساسي على علم النفس. وكان لآرائه تأثيراً كبيراً على هوسيرل.

آخرين قبل أن نعرف أن العالم ككل موجود ويجب أن تأخذ الفلسفة ذلك بعين الاعتبار، ويجب أن تتمحور الأخلاق حول الشخص.

فلسفة المجتمع

إن قيمة الشخص هي أساس فلسفة شيلر أو بالأحرى فلسفة المجتمع، المجتمع يدور حول القيم المشتركة والحب، نحن نفهم بعضنا البعض من خلال تقييم الآخرين، ومن خلال تقييم الآخرين نشكل المجتمع، وفي المقابل فإن تقاسم القيم والمسؤوليات داخل المجتمع هو السياق (أو "عالم الحياة" باستخدام مصطلح هوسرل) الذي يتشكل فيه الناس ويحققون أنفسهم، تتخلل كل مناقشات شيلر المطولة والمفصلة حول بناء مجتمع من الحب والتضامن هو "موقف التقييم" إن الموقف المتمثل في تقدير شخص ما أو شيء ما هو فعل إعطاء أو خلق معنى، وبالتالي فهو عمل مقصود، ليس من العقل ولكن من الحب المشاركة والتعاطف والاحترام هي بعض الطرق التي نقدر بها الآخرين، يمكننا أيضًا أن نرى فكرة مشابهة جدًا في الاعتراف، تقييم الناس يشمل تقييم عواطفهم، خلاصة فكر شيلر هي أن خلاصنا لا يكمن في تقوية أنفسنا للمعاناة، بل في الاعتراف بالألم في أنفسنا وفي الآخرين والتعاطف معه والتعاطف مع الآخرين هي قيم إيجابية تجمعنا معًا كمجتمع وحذر شيلر من أنه عندما "يتوحد" الناس بسبب التعاسة الغاضبة، فإنهم ينشرون تعاستهم فقط، عندما كتب شيلر عن ذلك في ألمانيا عام ١٩٢١، كان لديه رؤية مخيفة للرعب القادم من النازيين الذين عرفوا كيفية استغلال الغضب والتعاسة كقوة مكونة قال: شيلر إننا بحاجة إلى رفض القوة الزائفة المتمثلة في تقوية الأنا ضد المعاناة أو تمجيد مثل هذه المعاناة بدلًا من ذلك، علينا أن نعترف بأن الألم هو الألم ولكن الفرح هو الفرح والخير يأتي من الفرح (Buber, 1945,P32).

ماهية القيم عند شيلر

سعى شيلر إلى تقديم تصوّر حول ماهيّة القيمة ولم يبقِ على تصنيفها التقليديّ، ووضعها ضمن تراتب هرميّ من أدنى القيم إلى أكثرها علوًّا، وقد نظر إلى الأخلاق ضمن تجربتين: إحداهما «رمزيّة»، وهي التي تمثّل التجربة العاديّة اليوميّة، والأخرى تجربة وجدانيّة مباشرة، حيث ينبغي برأيه تقديم القيم بشكلٍ موضوعيّ ومنظّم وفقًا لمجموعتين أساسيّتين: إيجابيّة وسلبيّة، وهما مستقلّتان عن قدرتنا على الشعور بأضداد محدّدة للقيم؛ أي أنَّ «وجود قيمة موجبة هو في حدّ ذاتها قيمة إيجابيّة، ووجود قيمة سلبيّة هو في حدّ ذاتها قيمة سلبيّة، وعدم وجود قيمة موجبة هو في حد ذاتها قيمة سلبيّة، وعدم وجود قيمة سلبيّة هو بحدّ ذاتها قيمة موجبة» (Schillar, ., Formalism in Ethics and Non-formal, 2020,P61)

والأخلاق بالأساس تحضّ على وجود القيم الموجبة وتنهَى عن القيم السلبيّة، فما يجب أن يكون هو القيم الموجبة، وما لا يجب أن يكون هو القيم السلبيّة، ولا يمكن للقيمة بذاتها أن تكون موجبة وسلبيّة في الآن ذاته؛ فكلّ قيمة غير سلبيّة هي قيمة موجبة، وكلّ قيمة غير موجبة هي قيمة سلبيّة، ولا يعني ذلك أنَّها تخضع لمبدئَيّ عدم التناقض والثالث المرفوع برأيه؛ لأنَّ المسألة هنا ليست مسألة علاقات بين القضايا من حيث أسسها، بل مسألة علاقات أساسيّة، وهذه العلاقات تحصل بين القيم بحدّ ذاتها، بغض النظر عن وجودها أو عدم وجودها (خليف، ٢٠٢٢، ص٤٤).

تمتلك القيم ترتيباً قبلياً في ماهية الطبيعة البشرية، لا تكون على المستوى ذاته، الأهمية بالنسبة للفرد، بل ثمة قيم تحوز على أهمية أعلى من قيم أخرى، لذلك يصنف شيلر القيم من الأدنى والأكثر ارتباطاً بالمادة إلى أعلاها وأكثرها بعدًا عنها، ويضع معايير خاصة في تمييز القيم الأعلى من القيم الأدنى:

ديمومة القيمة وثباتها: جرت العادة بين الناس على المضي وراء الخيرات التي تدوم أكثر من حيث الزمن، ويتلافون الخيرات المؤقتة الزائلة، لكن شيلر يرى أن «القلق والخوف من التدمير المحتمل للخير المعني هو الذي يدفع الأخلاقي إلى فراغ متزايد باستمرار، وبسبب خوفه من فقدان الخيرات الإيجابية لا يمكنه في النهاية أن يجد أياً منها)، لكن من المؤكد أنَّ الثبات الموضوعي للخيرات في زمن ما لا يمكن أن يجعلها أكثر قيمة، ويبدو هذا واضحاً عندما ننظر إلى أنَّ الدوام ينسب للقيم الأعلى من حيث علاقتها بالقيم الأدنى، ولا علاقة للثبات بتعاقب الزمن أو التغير، فهو كما يقول: «وضع إيجابي خاص بالذات، وتدوم القيمة من خلال صفتها المتمثلة في امتلاك ظاهرة القدرة على الوجود عبر الزمن، بغض النظر عن طول فترة وجود حاملها»، ويتضح هذا الثبات للقيمة عندما نتحدّث عن الحب كقيمة أخلاقية سامية منزهة عن المنفعة والغرض، فهناك فرق بين الحب الحقيقي الأبدي والذي يمتاز بالديمومة والثبات وبين الحبّ المؤقت الزائل الذي ينتهي مع انتهاء مصلحة الفرد، ولا يمكن أن نسميه حبًّا بالأصل؛ لأنَّ الحبّ الحقيقي يدوم باستقلال عن أي شعور محسوس (Yuen, 2000,p.32).

قابلية القيمة للقسمة

يعتمد هذا المعيار على ماهية القيمة وحامل القيمة، فكلما قلت قابلية قسمة القيمة كانت أعلى والعكس صحيح، وكلما زادت نسبة من يشاركون فيها كانت أعظم وأعلى، فالخيرات المادية على سبيل المثال لا يمكن توزيعها إلا عند تقسيمها، وتتوافق قيمتها مع امتدادها المادي، كقولنا إنَّ قطعة القماش تساوي ضعف قيمة نصفها تقريبًا، ويتوافق علوّ القيمة في هذه الحالة مع امتداد حاملها، وذلك على عكس العمل الفنّيّ الذي لا يقبل التجزئة

ولا يوجد له جزء، فمن الممكن التمتع بمنظر اللوحة من دون تقسيم، بعكس القيم الحسّية التي لا تبلغ درجة المتعة من دون تقسيمها، وكلّما اتسع امتدادها كانت المتعة أكبر، في حين أنّنا في القيم الروحية، ولا سيما الدينية، يكفينا أن نفهمها، ونشعر بقيمتها والاستمتاع الروحي بها، وتكمن ماهية هذه القيم برأي شيلر في كونها تقبل المشاركة بلا حدود ومن دون أي تقسيم أو انتقاص، فلا شيء يوحد الكائنات بشكل مباشر وحميمي أكثر من العبادة والسجود المشترك لـ «المقدس»، والذي يستبعد بطبيعته وجود حامل «مادي»، ما لم يكن حاملاً رمزيًّا، ويقصد شيلر بالرمز هنا ذلك الذي تتبعه جماعة من الجماعات، وقد يشترك أفرادها بالسجود والعبادة، ولكن من يتوجّهون له بالعبادة

لا ينقسم أو يتجزأ رغم اتساع دائرة المشاركة (Yuen, 2000,p.32).

الملائم وغير الملائم

يتحدّث شيلر هنا عن ترتيب القيم من حيث إنه توجد قيمة بمثابة الأساس لقيمة أخرى، فقيمة مفيد تستند إلى قيمة ملائم والتي تعد بمثابة قيمة أعلى من قيمة «مفيد»، وتكون وسيلة لقيمة أعلى منها، ومن دون الملائم، لن يكون ثمة «مفيد» والملائم كقيمة تستند بالضرورة إلى قيمة حيوية، فالشعور بقيمة الصحة على سبيل المثال يتوقف على هذا الكائن بالملائم له وبغض النظر عن كل القيم الروحية فإنَّ «قيمة الحياة» الحيوية البحتة تحكم كل درجات قيم الملائم التي يشعر بها الكائن، وتعد بمثابة الأساس لها باستقلال عن كلّ التجارب المتعلّقة بالصحة والمرض التي يعيشها الكائن الحي (مصطفى، ٢٠٢٠، ص٥٦).

طبيعة الشخص الأخلاقي

عندما يتحدّث شيلر عن مفهوم الشخص، فإنّه لا يعني به الأنا الديكارتي، ولا أنا هوسرل كقطب مقابل للعالم الكبير، بل فكرة الشخص بوصفه مركزاً ، ليس فقط للأفعال العقلية، بل للأفعال الإرادية والعاطفية أيضًا، فالشخص ليس الأنا ولا النفس وليس كلّ البشر أشخاصًا بالمعنى الكامل للكلمة؛ لأنَّه ليس شيئًا نفسيًّا ولا علاقة له أياً كان بالمشكلة السيكولوجية، ولا الخلق والطبع، وليس جوهرًا ولا موضوعاً، بل هو وحدة الوجود المتعيّنة المكونة من أفعال، ولا يوجد إلا من حيث إنّه يقوم بأفعال، ويكون متواجداً بكله في كلّ فعل من أفعاله، ويأخذ أشكالاً متنوعة بحسب تنوع الأفعال، من دون أن يسيطر أي فعل خاص عليه، وهنا يمكن القول: إنَّ شيلر لم يهدف إلى تحطيم جميع الركائز الكانطية، بل الأخلاق الصورية فحسب، حيث اتفق مع كانط حول أنَّ الشخص ليس شيئًا من الأشياء، ولكنّه اختلف عنه في أنه يجب أن لا نصنفه على أنه مجرد شخص عقلاني، أو النظر إليه من خلال أدائه العقلي، بل بوصفه حاملاً أساسيًا للقيم (Schillar, The Nature of Sympathy, 1970,p.22).

من خلال قيمة الشخص يمكن القول: إنَّ الحبّ هو المبدأ الذي قامت عليه فلسفة شيلر وحياته الشخصية، وسيطرت عليهما، فالإنسان كائن محبّ قبل أن يكون كائنا عارفاً أو مريداً، فالحب هو القبلي الذي يتقدّم على المعرفة والإرادة، وهو فعل أصلي يمكن الإنسان من الخروج من حدود نفسه وتجاوزها والمشاركة في العالم، وإذا كانت المعرفة نوعًا معيّنا من المشاركة، فإنَّ القبلي الذي يؤسس هذه المعرفة ويجعلها ممكنة، هو فعل المشاركة الذي نسميه الحب، وبه يصل الشخص إلى أعلى القيم المتمثلة في حبّ الإله، ولا يمكن أن يتحقق حبّ الإله من دون حب الآخر، والحبّ في فكر شيلر، لا يخضع للاختيار ولا يكون لشخص بعينه، بل إنه عالمي وللجميع، ولا توجد شروط لكي تحبّ الآخر، فأنت تحبّ الآخر؛ لأنَّه الشيء الصحيح الذي ينبغي عليك فعله، وشيلر هنا لا يخرج عن تطبيق الحبّ بمفهومه الديني باعتبار أن أسمى القيم هي قيمة المقدّس التي يشترط تحققها حبّ الآخر، كما ورد في العهد الجديد: «أيها الأحياء لنحب بعضنا بعضًا؛ لأنَّ المحبة هي من الله ... ومن لا يحبّ لم يعرف الله لأنَّ الله محبة»، «إن قال أحد إني أحبُّ الله وأبغض أخاه فهو كاذب، لأنَّ من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحبّ الله الذي لم يبصره»، وما أجمل أن نقتدي بمن نحبه، هنا كانت دعوة شيلر بالمحبوب «الله» في حبّ البشر، ذلك الحبّ الذي يوحد الجميع تحت دائرة القيم ولا ننسى اننا كائنات اجتماعية ولا يمكننا أن ننفصل عن المجتمع، وما نفعله للآخرين يؤثر على الكل، وفكرة شيلر عن الحب هي إحدى الإجابات عن الوحدة، ورغم اختلافنا لا يزال ثمة ما يوحد بيننا وبين الآخر ألا وهو الحبّ، وبذلك تكون الوحدة فكرة جميلة لربطنا ببعضنا أو مبدا للتناغم على الرغم من ظهور مشكلة في مجتمعنا بسبب الكراهية، إلا أنَّ فكرة شيلر عن الحب، تمكن من تكوين علاقة جيدة مع الآخرين (خليف، ٢٠٢٢، ص٤٤).

الخاتمة

نخلص من ذلك العرض أن التعاطف بين الإنسان والآخر هو أمر فطري، ولا يعود للغريزة ولكن مصدره العاطفة، وهو يتم بالحدس المباشر وليس بالعقل، والتعاطف بين البشر أمر ضروري حتمي يتم التعاون بينهم في مواجهة صعاب الحياة التي تواجههم، كما تتجلى أصالة (شيلر) في أنه يمنح العاطفة دورا مفارقا في اكتشاف القيمة وعنده أن هناك أمراً قبلياً يسبق الحساسية، إذ هو نقل دلالة القبلية إلى مجال العاطفة ورأى أن أفعال الحس والإرادة والتفضيل والحب والكراهية تتضمن وتستلزم موضوعاً قبلياً يعجز الفكر عن تقديمه.

يرى شيلر أن للقيم من حيث علاقتها المتبادلة تسلسلاً هو أساس التفضيل وان مملكة القيم تخضع بأسرها لنظام خاص بها وللقيم ترتيب تصاعدي بفضله تكون قيمة اسمى أو أحط من قيمة أخرى، وان العاطفة المتميزة التي تدرك بها علو قيمه وتقدمها على أخرى هي عاطفة الترجيح.

كما قدم لنا (شيلر) دراسة فنومنولوجية (الحب) وهي في الحقيقة تكملة ضرورية لنظريته في القيم، والحب حركة فيها يصل الموجود الفردي وهو الإنسان حامل القيم الممكنة له بحسب قدراته المثالية.

من السمات المهمة في الأنثروبولوجيا الفلسفية لماكس شيلر اهتمامه بتقديم صورة شاملة ودقيقة في الوقت نفسه عن الطبيعة البشرية، والتي يمكن أن تشمل جوانب مختلفة، عقلانية وعاطفية. وفي نفس الوقت هدفه هو تحقيق المعرفة التي لها أشياء مطلقة وثابتة من جهة، ومن جهة أخرى، لا ينبغي له أن يختزل الإنسان إلى فئات مجردة، وأن يكون قادرًا على تقديم فهم له في سياق علاقات ملموسة وحقيقية، ورغم اعترافه بمسار التطورات في المجتمع الإنساني، إلا أن شيلر يعتبر مضمون القيم الإنسانية محصنة ضد هجوم العوامل المتغيرة، ومن وجهة نظره فإن العوامل الحقيقية والموضوعية لا تحدد حقيقة القيم؛ فهي توفر فقط الشروط اللازمة لظهور الأشياء، دون التدخل في المحتوى، ومع ذلك لا ينبغي للمرء أن يكون غير مبال بالأشياء الحقيقية، خاصة وأن مشكلة معظم النظريات الأنثروبولوجية هي تجريدها وبعدها عن الحقائق الملموسة للحياة الإنسانية.

المصادر

المراجع

Buber, M. (1945,P32). *International Phenomenological Society.* New Yourk.

krystyna. (2004,p,15.). *The central European pragmatic forum.* u.s.a.

.Max Schillar (٢٠٢٢). *eeling, knowledge and evaluation.*

Schillar, M. (1970,p.22). *The Nature of Sympathy.* London.

Schillar, M. (2000,P11). *, Cheung Qing Yun, Advanced Treatise on Partial.* China.

Schillar, M. (2020,P61). *, Formalism in Ethics and Non-formal.*

Schillar, M. (2022.p20). *eeling, knowledge and evaluation.*

Schillar, M. (n.d.). *eeling, knowledge and evaluation.*

Schiller, M. (n.d.).

shelar, M. (2020). *On feeling, knowledge and evaluation. .*

Trajtelova. (2022,p18). *Philosophical Anthropology.* Slovakia.

Yuen, C. (2000,p.32). *Philosophical Anthropology.* china.

ابراهيم د. محمد عباس. (٢٠٢١، ص٤٤). *الحرية وارادة الفعل في الانثروبولوجيا الفلسفية*. مصر.

احمد عبد الحليم عطية. (٢٠٢٠، ص٨٧). *غينومينولوجيا الشخص وتجربة العيش المشترك ماكس شيلر ولحبابي نموذجاً*. مصر: اوراق فلسفية.

حسين ظريف. (١٩٩٧، ص١١). *مفهوم الروح عند ماكس شيلر*. القاهرة: دار النهضة العربية.

زكريا ابراهيم. (١٩٨٤، ص٥٠). *مشكلات فلسفية، مشكلة الحب*. مصر: دار مصر للطباعة.

سماح عبد الحكيم سيد مصطفى. (٢٠٢٠، ص٥٦). *قيمة التعاطف عند ماكس شيلر*. مصر: جامعة بني سويف.

عبد الغفار مكاوي. (٢٠٠٨، ص٣٣). *تجارب فلسفية*. مصر: مؤسسة هنداوي.

عودة الموسوي البخاتي. (٢٠١٨). *مقالات واجوبة المسائل العلمية*. العراق: الدار البيضاء.

منال محمد خليف. (٢٠٢٢، ص٤٤). *فينومينولوجيا القيم المبتورة*. العراق: مركز الدراسات الاسلامية.